

سورة الدخان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ (12)

شرح الكلمات:

ربنا اكشف عنا العذاب: أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آما بك وبرسولك.

المعنى الإجمالي:

فانظر أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعم الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤمٍ موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك.

أن الكافرين الذين يصيهم ذلك الجهد يصرعون إلى رحمة بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم.

قال ابن كثير في تفسير الآية : أي يقول الكافرون إذا غابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم . اهـ .

و يجوز أن يدعو بهذا الدعاء إذا لم يرتب عليه تركة النفس ومدحها . وكان ذلك في محله .

وقد يأتي العذاب عقوبة لصاحب المعصية أو لأهلها ليكونوا عبرة وعظة لمن بعدهم كما فعل الله بالأمم السابقة والسعيد من وعظ بغيره، ولكن من رحمة الله بنا أن الله لا يهلك أمة محمد سوى آلهم وسلم بعذاب عام فعم سعد رضي الله عنه قال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني التين ومعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمي بالنسبة فأعطانيها وسأته أن لا يهلك أمي بالفرق فأعطانيها .

وسأته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها».

قد ينزل الله بقضائه بأناس فيهم الحبيث والطيب فتعظم هذه القيمة، لكن هذه القيمة بالنسبة للطيبين كقدرات ذنوب ورفع درجاته وليس سخطاً عليهم. وقد جعل الله العقوبة للأمم الكافرة سنة له في خلقه، فقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نُجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَإِنْ نُجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ {فاطر: 43}. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أيم العقاب، يقول: فهل ينظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نعمتي على شركهم في وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بين قلوبهم من أشكافهم من الأمم وقد جاءت الآيات تنوعد الأمم الكافرة بسنة الله الماضية في أهل الشرك والكفر ﴿وَإِنْ مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا فَلَوْلَٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ {الإسراء: 58}.

من أسباب هذه العقوبات التي ينزلها الله بالناس ما يلي:

1- استضعاف العباد وظلمهم؛ قال-تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لَأَفْلَكُنَّاهُمْ لَمَّا تَلَمَّثُوا وَجَعَلْنَا لِبَنَاتِكُمْ فِئْتَابًا﴾ {الكهف: 59}.

2- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير في القيام به.

3- العو والكفر والغرور.

4- كثرة النعم.

5- الظلم والكفر.

6- الغلو في الدين.

7- التنافس في الدنيا والشح بما فيها.

الأسباب التي - مشيئة - يرفع الله بها بلاة كسبه عليه أو يخففه عنه هذه الأسباب .. ومن هذه الأسباب وأهمها :

1- التقوى :ومعنى التقوى كما هو معروف : هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل.

2- أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجمع صوره)،

3- الدعاء من أضع الأدوية ، وهو عدو السلاء ، يدافعه ويعالجها ، ويمسح بزولته ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن .

4- الإكثار من الاستغفار والذكر .

5- الإفلاج عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله .

6- البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه الربا .

7- إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام .

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

9- رفع الظلم ونشر العدل وإعطاء الحقوق إلى أهلها .

10- عدم الغرور والعجب والتفاخر والتكبر والتعالي على الخلق .

متى يكون العذاب خاصا، ومتى يكون عاما؟!

وإذا وقعت العقوبة شملت الصالح والطالح،

والخمس والمسيء، فما مصير الصالح؟!

إن الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة، والأمر الرشيد، حكمه العدل، وقوله الحق، حرم الظلم على نفسه، وجعله بيننا محرما،

وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، حجة على الخلق، وشرع التوبة، وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتلا ينزل العذاب على

عامة الأمة. وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يضع أجر من أحسن عملا، وأنهم وإن هلكوا مهلكا واحدا، فإن الله يعنتهم

على نياتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يعزو جيش الكعبة، حتى إذا كانوا بيضاء من الأرض؛ خسف بأوتهم وأخرهم.

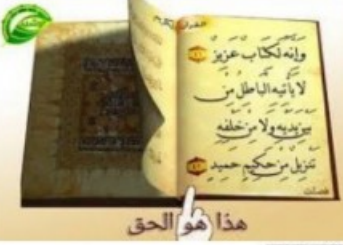
قالت عائشة: يا رسول الله! وفيهم سواهم، ومن لبس منهم؟ قال: يخسف بأوتهم وأخرهم، ثم يعنون على نياتهم). فيكون

العذاب حينئذ عاما إذا كان الفساد عاما، وينجي الله المتقين، ويكون الكال خاصا إذا كان المنكر خاصا غير مسعلن، كما قال

عز من قائل في خير قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِإِذَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [50].

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مَعْمُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



هذا هو الحق

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مَعْمُونَ

قوله ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مَعْمُونَ﴾ الآية 12

تفدى ولا نباح

ولا تسونا من صالح دعاكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزمي)

1

8- الدعاء من أسباب الفرح ومن أسباب كشف الضر وكشف البلاء قال الله سبحانه وتعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 56].

9- من دعا ربه لا يشقى بدعاء ربه بل إنما يسعد بذلك سواء في ذلك دعاء مسألة أو دعاء عبادة فإن الله عز وجل قد جاء هذه العبادة وسيلة إليه يتقرب بها إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: 35]

10- العذاب والكمال الذي توعدت به الرسل أقوامهم لم يكن مجرد عقاب وعيد؛ بل إذا تكلمت الأقوام عن الصراط، وعاندت المرسلين، واستكبرت على رب العالمين؛ فحينئذ يحق القول، وينزل بهم ما كان أنذروهم إياه رسولهم.

11- أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبده فابتلاهم بالחסات والسيئات لينظر أيهم أحسن عملاً.

12- الدعاء دال على قرب صاحبه من الله فيسأله مسألة القريب للقريب لا نداء العبد للعبد .

13- الدعاء يجمع فيه أنواع العبادات مالا يجمع في غيره :

1. توجه القلب إلى المدعو وقصدته بكلية .
 2. رجاء إجابته للدعاء والرغبة إليه رغبة صادقة مع قطع الرجاء والأمل عن غيره .
 3. الخوف من عدم إجابته والرغبة والخشية منه .
 4. التوكل والاعتماد عليه في قضاء الحاجات .
 5. تعظيم المدعو بأنواع التعظيم من التضرع والتذلل والخصوع والتملق والانطراح بين يديه .
 6. ذكر المدعو باللسان واللمح باسمه في السر والعلن وندائه والاستغاثة به والمناف باسمه .
 7. محبة المدعو فإن النفس مولعة محبة من يحسن إليها .
- والله اعلم .. صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

6

الفوائد :

1- أن المصائب والكربات التي تصيب المؤمنين من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب فردية أو جماعية ،قال - عز وجل - : [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيُنْفُو عَنْ كَثِيرٍ] [الشورى : 30].

2- جعل هذه الكربات أو البلايا التي تصيب بها عباده المؤمنين بمثابة الدواء المر الذي يجرعه المريض ليشفي من مرضه ، وهذا المرض هو الذنوب التي تتراكم في صحائف أعمال العباد فتأتي هذه المصائب لتكفر الذنوب ، ولتبه ذوي القلوب الحية إلى العودة إلى الله بالتوبة إن أراد الله بما خيراً .

3- الظلم من المعاصي التي يجعل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة.

4- لا يوجد إنسان أثناء الشدة إلا ويقول يا رب عدت إليك أفئدني، وبالحساسة هذا الالتجاء عند الشدة يسوي فيه كل الناس، لا فضل لك فيه، وأحق الكفار يدعو ربه عند الشدة ويقول يا رب أفئدني، ولذلك فالبطولة أن تكون في الرخاء ملتصقاً إلى الله عز وجل، وأنت في بخوحة وفي صحة، أما عند الشدة فكلمهم بتضرع ولكن قد لا ينفع هذا التضرع.

5- قد يتأخر العذاب الديني، ويظن المغرور أنه على خير؛ خاصة إذا رأى نعم الله متواليه عليه، ومنه مترادفة إليه، ولا يعلم أن ما بينه وبين عذاب الله إلا كالمح الصر .

6- للعذاب أجلا مسمى ومقاتا معلوما لا يتأخر عنه ولا يتقدم، فانظر كم لبث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم ليؤمنوا، وهم يكذبونه ويتبهونوه، قال تعالى: ﴿لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَتِيْنًا عَاقِبًا﴾ [33].

7- من كمال رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب، فكانت رسالات الرسل تجمع بين الدلالة على الخير، والتحذير من الشر، ترغيباً وترهبياً.

5